بسم الله

عبد الحميد رميته , الجزائر

مسائل في العقيدة الإسلامية

أولا : بين الشك واليقين

كنت في أغلب الوقت ولمدة حوالي ستة أشهر : من " نوفمبر 1999 " إلى"مارس 2000" أطرح (أو تطرح النفس الأمارة بالسوء أو يطرح الشيطان لعنة الله عليه , أنا لا أدري) على نفسي السؤال المشكِل في العقيدة , وقد أجيب في الحين وقد لا يحضرني الجواب إلا بعد حين , وفي الكثير من الأحيان أستعمل أحسن وسيلة للدفاع وهي الهجوم فأبادر للجواب عن السؤال الذي يمكن أن يُطرح , ولكن قبل أن يُطرح .

وفيما يلي البعض من هذه الأجوبة على أسئلة يمكن أن تطرح , ويمكن أن لا تطرح ... ولكنني على يقين بإذن الله بأنها تزيل – عند من يقرأها رجلا كان أو امرأة , كبيرا أو صغيرا- الشك إن وجد , أو تطرد الخواطر السيئة إن وجدت , وتحصن المؤمن ضد الشك وضد الخواطر السيئة , وتزيد إن شاء الله من اليقين الموجود عنده , وتجعل إيمان المؤمن مبنيا على العلم والعقل واليقين , لا على التقليد , ويكون بذلك قويا , يثبت ويصمد أمام كل التحديات والعراقيل والمشاكل والصعوبات والإبتلاءات والأشواك على طريق الحياة الدنيا :

1 -دعا رسول الله في العقيدة إلى نفس ما دعا إليه من سبقه من الأنبياء والرسل (من آدم إلى عيسى عليهم وعلى رسولنا الصلاة والسلام) أن : (اتقوا الله وأطيعون) . وهذا دليل على أنهم كلهم يبلغون عن الله بلا زيادة ولا نقصان , وأن رسول الله محمدا ليس كاذبا ولا مدعيا ولا ...

2 -في زواج محمد صلى الله عليه وسلم أكثر من دليل على صدقه فيما يبلغ عن الله : إن أعظم سلطان مادي على الرجل أو أعظم شهوة أو هوى , عند الرجل هو حب النساء . ومع ذلك :

ا – تزوج رسول الله محمد بمن هي أكبر سنا منه ب 15 سنة , وهي الأعقل , وقد كانت شابات مكة كل واحدة منهن تتمناه لنفسها .

ب – عاش معها حوالي 25 سنة بدون أن يتزوج غيرها ولم يمنعه من ذلك مانع ولا أحد .

جـ– بقي يذكرها بقية حياته كأحسن زوجة مع أنها ماتت بعد ذلك وعنده من هي أجمل منها وأقل سنا منها مثل عائشة رضي الله عنها .

د – كل من تزوجهن بعد ذلك كانت له أغراض دينية – لا دنيوية ولا شهوانية – بالدرجة الأولى من ورائها .

هـ- كان مهتما في حياته بالدين ونصرته أكثر من اهتمامه بالنساء .

و- تزوج بحوالي 10 نسوة , ولم يتزوج بأكثر من ذلك كما فعل سيدنا سليمان الذي تزوج بمائة امرأة . ومن جهة أخرى فإن القرآن منعه من أن يطلق إحداهن ويبدل بها من هي أجمل منها .

3- حتى لو فرضنا بأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو عبقري العباقرة , فيستحيل أن يخبرنا من عندياته بما كان ومازال وسيبقى هو الأحسن والأفضل والأنفع من النظم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتربوية و ... ومن الآداب والأخلاق و... والتي كانت ومازالت سائدة في العالم , وهو النبي الأمي الذي لم يقرأ ولم يكتب .

4- حتى لو فرضنا أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو عبقري العباقرة , فيستحيل أن يخبرنا من عندياته بالحقائق العلمية الكثيرة التي يأتي العلم في كل يوم ليكتشفها أو ليؤكد صحتها , ولم يحدث ولو مرة واحدة على امتداد أكثر من 14 قرنا من الزمان أن قال العلم بشيء واحد مناقض لنص ثابت (قطعي الثبوت قطعي الدلالة) من الكتاب أو السنة , لم يحدث هذا أبدا . أليس هذا دليلا قطعيا على أن محمدا صلى الله عليه وسلم صادق في التبليغ عن الله , وأن القرآن من عند الله وأن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله حقا ؟!.

5- الإسلام فيه الاعتدال والتوسط في كل تشريعاته ونظمه وقوانينه , وذلك من أعظم شؤون الحكم إلى أبسط شأن من شؤون الحياة . أليس هذا دليلا على أن الإسلام هو دين الله لا دين محمد صلى الله عليه وسلم ؟! .

6- في الإسلام ثوابت لا تتغير بتغير المكان والزمان , ومتغيرات تقبل التبديل بضوابط والتغيير بضوابط , كدليل على صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان . وهذا لم يتوفر (منذ سيدنا آدم صلى الله عليه وسلم وحتى الآن) إلا فيما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . ألا يكفي هذا كدليل قاطع على أن ما جاء به رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم هو ليس من عنده ولكنه من عند العليم الخبير , الذي له الأسماء الحسنى ؟! .

7- حياة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم معروضة بتفاصيلها على الناس- كل الناس - , كما لم تعرض حياة أي شخص آخر في الدنيا . ومع ذلك لم يطعن أحد ولم يجرؤ أحد على أن يطعن في جانب منها مهما كان صغيرا أو كبيرا , هذا على خلاف عباقرة الدنيا (من غير الأنبياء) الذين يتفوقون في جانب ولا يتفوقون في جوانب أخرى (بل يكونون عاديين أو دون بقية الناس) . والأمثلة على ذلك كثيرة .

8-إن هذا الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم قال كلمته في كل شيء : من أعظم شيء في السياسة وشؤون الحكم مثلا إلى أبسط شيء مما يتعلق بالجنس وبعلاقة الرجل بالمرأة في الفراش . إن دينا هذه خاصيته , لا يمكن أن يكون من صنع بشر عادي . هذا مستحيل ثم مستحيل .

9- سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان يلقب من أبناء مكة لعشرات السنين بالصادق الأمين . فكيف يعقل أن يكذب في نهاية حياته بأن يدعي ما ليس له , بعد أن قضى أغلب حياته مثالا للصدق ؟!.هذا غير معقول ولا منطقي ولا مستساغ .

10- إن ربا (هو الله) ورسولا (هو محمد صلى الله عليه وسلم) وكتابا (هو القرآن) يؤمن به الملايين من العلماء العقال الأنقياء الأطهار منذ بداية الدنيا وحتى اليوم , لا يمكن أن يكون غير موجود أو باطل أو غير صحيح .

11- من المضحك بمكان أن يتخيل شخصٌ بأن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم اخترع من عندياته أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين (بلا زيادة أو نقصان) الدقيقة والواضحة والمعبرة والتي بها يمكن للناس أن يعرفوا ربهم الذي يقال لهم عنه "مهما خطر على بالك , فالله مخالف لذلك ". محمد صلى الله عليه وسلم لا يقدر من جهة على كذبة مثل هذه , مهما كان عبقريا . ومن جهة أخرى ما الذي يجنيه من وراء هذه الكذبة ؟! . لا شيء . اللهم إنني أشهد شهادة حق بأنك حق وبأن محمدا نبيك ورسولك بحق وبأن القرآن كلامك ومنهجك وهديك بحق .

12- ما الذي يجنيه رسول الله (إذا فرضنا أنه يقول من عندياته) من كوننا (حتى الذي عشنا من بعده بمئات أو بآلاف السنين) نصلي ونصوم ونزكي ونحج ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ونجاهد في سبيل الله ونفعل الخير مع الناس و ..أم لا ؟ وما الذي يجنيه رسول الله من كون الناس يسرقون ويكذبون ويخونـون وينافقون ويزنون ويشركون بالله و... أم لا ؟. مهما بحثنا عن الجواب فإننا لن نجد إلا جوابا واحدا مقنعا وهو أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم يبلغ عن الله , وأنه مأمور بذلك . " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك , وإن لم تفعل فما بلغت رسالاته " , هكذا قال الله تعالى له .

13- القرآن أخبر الناس بأن أبا لهب من أهل النار , وكذلك زوجته (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ. مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ . سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ . وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ . فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ). ولو لم يكن القرآن من عند عليم خبير , على كل شيء قدير, لا استغل أبو لهب وزوجته الفرصة - ولو مدفوعين من سائر الكفار- وأعلنا إسلامهما فيثبت عندئذ كذب الرسول محمد (حاشاه صلى الله عليه وسلم) فيما يقول بأنه يبلغه عن الله الصادق . فإذا ثبت كذب الرسول صلى الله عليه وسلم ولو مرة واحدة فإن كل ما بناه يتهدم :

ا - دعواه بأنه رسول من عند الله .

ب- إدعاؤه بأن القرآن كلام الله لا كلامه هو.

جـ- ادعاؤه بأن الله موجود .

لكن هل حدث هذا ؟! . لا وألف لا . أليس هذا دليلا على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما يبلغ عن الله سبحانه وتعالى ؟!.

14- نفس الشيء يقال عن إخبار القرآن بأن الروم انهزموا , لكنهم سينتصرون بعد حين (ألم , غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون , في بضع سنين . لله الأمر من قبل ومن بعد . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) . لو كان ما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم من عنده , كيف يجرؤ على أن يغامر بهذه الطريقة ؟!. إن لم ينتصر الروم على الفرس في أقل من 10 سنوات (بضع) , فإن الرسول صلى الله عليه وسلم يصبح كاذبا (حاشاه) عندئذ , ولن يصدقه أحد بعد ذلك , إلا أن يكون كاذبا مثله . هل حدث هذا بالفعل ؟.لا وألف لا. لم يحدث ذلك , بل الذي حدث هو عين ما أخبر به القرآن الكريم . لقد انتصر الروم على الفرس قبل تمام الـ 10 سنوات من نزول البشرى على الرسول صلى الله عليه وسلم . ألا يدل هذا على أن محمدا صلى الله عليه وسلم نبي ورسول , وعلى أنه ليس هناك من هو أصدق من الله عالم الغيب والشهادة سبحانه وتعالى .

15- مما يدل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يبلغ عن الله وعلى أن الله بالفعل أحد صمد " لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ ", أن كل قوانين البشر لا تنضج مرة واحدة وإنما يضعها أصحابها في البداية , وعند تطبيقها يأتي المجتمع بأحداثه ويضغط بهذه الأحداث فيجد المشرعون بأن هناك تغيرات في قوانينهم , فيحاولون تعديلها ويحاولون تغييرها . إن المشرع من البشر حين يشرع يغيب عنه في البداية ما يؤول إليه التطوير , فعندما يظهر له ما كان خفيا عليه يبدل ويغير حتى ما كان يعتبر ثابتا , ويناقش حتى ما كان عنده لا يقبل المناقشة . أما ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم مما هو ثابت من ثوابت الدين أو مما ورد فيه نص قطعي الدلالة قطعي الثبوت , فإنه بلغه مرة واحدة وكان ولا زال حتى الآن صالحا , بل هو أصلح موجود , ولم يجرؤ أحد حتى الآن أن يطعن في صلاحه أو يأتي عليه باستدراك من واقع المجتمع أو من المنطق العقلي , سواء كان الأمر من شؤون الدين أو الدنيا , مع أنه بقي كما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم بدون أي تبديل أو تغيير ... بل المعروف عندنا في الدين أن من بدل شيئا من ذلك يعتبر كافرا بعد إقامة الحجة عليه .

16- إن من يقرأ عن العالم الداخلي للإنسان – على سبيل المثال لا على سبيل الحصر – يجد نفسه مجبرا على الإيمان بأن الله حق وأنه على كل شيء قدير وأنه هو الذي خلقنا وإليه مرجعنا في النهاية . كما أنه سيصل في النهاية إلى أنه لا يمكن أن يكون كل هذا الخلق العظيم تم بالصدفة (لا يقول بهذا إلا جاحد أو مجنون) , وصدق الله حين يقول " سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) , وأنه لا يمكن أن يكون كل هذا الخلق لإلهين إثنين لأنه (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا).

17- قد يسأل سائل فيقول : كيف يحاسب الله الناس من عهد آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها في وقت واحد ؟. يمكن أن يجاب عن السؤال بطرق مختلفة , منها أن الكمبيوتر على سبيل المثال – الذي هو من صنع الإنسان الذي خلقه الله – يقوم بمئات وآلاف وعشرات الألوف من العمليات في وقت واحد , وفي لحظة واحدة وبسهولة وبساطة متناهيتين . هذا العمل يمكن أن يقوم به الكمبيوتر اليوم, والله وحده أعلم ما الذي يمكن أن يقدمه في المستقبل. هذا جزء بسيط من قدرة الكمبيوتر (وهو المصنوع) على العمل الذي يبهر العقول أو يكاد . فما الذي يمكن أن تقوله لا عن صانع الكمبيوتر (وهو الإنسان) بل عن خالق صانع الكمبيوتر الذي هو الله سبحانه وتعالى ؟!.

18- لو لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ولا رسولا , ولو لم يكن القرآن من عند الله , فمن أين تأتي سلطة القرآن على الجن التي نلاحظها أثناء الرقية الشرعية أو أثناء علاج الناس بالقرآن الكريم . إنها سلطة لا يجوز عقلا ولا منطقا أن تفهم بأنها سلطة كلام لمحمد صلى الله عليه وسلم الذي مات منذ زمن طويل , ولكنها قوة ورهبة آتية من خوف الجن من رب محمد صلى الله عليه وسلم .

19- الآيات الكونية في الآفاق وفي الأنفس تدل دلالة قطعية على أن الله موجود وأنه خالقها وخالقها الوحيد , ولا يمكن ولا يجوز أن تكون موجودة بمحض الصدفة إلا في نظر حمار- أكرمكم الله - أو في نظر مجنون . وقول من قال بأن المادة وجدت بنفسها في مرحلة أولى , ثم تفاعلت مع ذاتها فأنتجت كل هذا الكون المحيط بنا,هذا القول تافه من جهات عدة , منها :
ا- المادة لا يعقل أن تخلق نفسها بنفسها .
ب- الجسم الوحيد لا يمكن ولا يعقل أن يتفاعل مع نفسه , وحتى (التاء) في التفاعل لغويا فإنها تفيد وجود جسم ثان على الأقل .

20- إخبار سيدنا محمد في الحديث وفي القرآن عن أمور غيبية وقعت بالفعل في المستقبل وكما أخبر هو (ولو خالف الحقيقة مرة لاعترض عليه الكفار والمؤمنون على حد سواء) يدل دلالة قطعية على أن رسول الله يتلقى ذلك وحيا من الله . ولو كان رسول الله كاذبا (وهذا مستحيل) فإنه يحق له أن يفتخر على سائر المخلوقات بأنه وحده الذي يعلم الغيب , لكنه كان

المثال الرائع في التواضع , وهو يخبر الناس باستمرار بأنه عبد الله (أمه امرأة كانت تأكل القديد بمكة) . والرسول محمد حين يفعل ذلك يخبرنا بالحقيقة كل الحقيقة ليس إلا .

21- ما الذي يستفيده الرسول محمد من الكذب – حاشاه - على الله , وهو الذي عرض عليه الكفارُ المال والسيادة والنساء كما يشاء في مقابل تخليه عن دينه ، فرفض بقوة وإصرار ؟!.

22- ما الذي يستفيده الرسول محمد من الكذب – حاشاه - على الله ، وهو الذي خير زوجاته بين العيش معه مع التقشف , وبين الطلاق إن أحببن الدنيا وزينتها , وهو قادر – لو شاء وكان كاذبا – أن يعيش معهن كأعظم ملوك الدنيا ؟!.

23- حتى لو فرضنا أن محمدا هو عبقري العباقرة ، يستحيل أن يخبرنا من عندياته بالكم الهائل من المعلومات التي وردت في الكتاب والسنة عن المستقبل في الدنيا , وعن عالم البرزخ , وعن الدار الآخرة , وعن الجنة والنار وما تعلق بهما ، والتي وردت بدقة ووضوح بعيدا عن أي تناقض .

24- اختار رسولنا محمد وقبل لنفسه أن يكون أشد بلاء في الدنيا , وهذا دليل قاطع على أنه صادق فيما يبلغ عن الله ، وعلى أنه يطمع في أن يعوضه الله في الآخرة عما فقده في الدنيا بأن يرفع له من درجته في الآخرة بقدر ما زاد من بلائه في الدنيا . أما إن كان كاذبا فما الذي سيربحه عند موته وقد عاش حياة أغلبها بلاء ، ثم يموت وينتهي أمره إلى غير رجعة .

25- كان الكفار في عهد النبي محمد يحذر بعضهم بعضا من سماع القرآن ويقولون " لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون " , وهو اعتراف منهم ضمني بأن القرآن حق , وبأنه من عند الله لا من عند محمد . وتحداهم الرسول أن يأتوا ولو بسورة من مثل ما ورد في القرآن , فلم يستطيعوا مع أنهم كانوا متفوقين للغاية في الفصاحة والبلاغة . وهذا اعتراف منهم ضمني ثاني . وحاول الكفار أن يتهموا محمدا بالإتهام المناسب فلم يفلحوا , فقالوا (لا يمكن أن يكون كاهنا ولا يمكن أن يكون كاذبا ولا ...إذن ماذا نقول فيه ؟!. نقول : ساحر , لأنه جاء بشيء فرق به بين الناس وبين بعضهم البعض) , ولقد كذبوا , لأنه لو كان ساحرا لسحر الناس جميعا ليؤمنوا به , ولكنه لم يفعل , إذن هو ليس ساحر .

26- قد يقال بأن النبي محمد جاءته الموهبة للقول المعجز (في القرآن والحديث) فجأة . والجواب أن هذا مستحيل لأن الموهبة لا بد لها من وقت , وتبدأ بالتجربة والخطأ . أما النبي محمد فلم يعلمه أحد ولم يتدرب أبدا على البلاغة والفصاحة .

27- أخبر القرآن محمدا بأن الله عاصمه من الناس "والله يعصِمك من الناس" , وبعدها استغنى النبي صلى الله عليه وسلم بالفعل عمن يحرسه . ثم بعد ذلك تم الأمر كما وعده الله,

فمع كل الشدائد والمحن والإبتلاءات التي مرت به عليه الصلاة والسلام , ومع أنه في القتال كان أشجع الناس , ومع ذلك لم يمت رسول الله إلا بعد أن أكمل الله دينه وأتم نعمته على الناس . أليس هذا دليلا على أن الرسول صادق , وأن القرآن حق وصدق , وأن القرآن من عند الله وحده .

28- يتحدى الرسول محمد من خلال القرآن الكفارَ في زمانه وفي كل زمان إن لم يصدقوا بنبوته ورسالته أن يأتوا بمثل القرآن الكريم أو ب 10 سور من مثل سوره مفتريات أو على الأقل بسورة واحدة , وليكفروا بعد ذلك ولهم العذر كل أو بعض العذر . ومع ذلك ما فعلوا في زمانه (وهم المشهورون بالفصاحة أكثر من غيرها) وما فعل أحد منهم ذلك خلال 14 قرنا مضت . أليس هذا دليلا قويا على صدق الرسول فيما يخبر به عن ربه ؟!.

29- يخبر الرسول محمد عليه الصلاة والسلام في ثقة مطلقة من خلال القرآن أنه" أإله مع الله ؟!",وبأنه " لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ . لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ " , ومع ذلك ما أخبر أحد حتى الآن من الجن أو من الإنس أو من غيرهما عن نفسه بأنه إله مع الله [والذي قال ذلك مثل بعض الفراعنة فضحته الحياة وضحك عليه الناس] , وما وقع فساد حتى الآن في السماوات والأرض , ولن يقع إلا بإذن الله . أليس هذا دليلا – وأي دليل – على صدق الرسول فيما يخبر عن ربه تبارك وتعالى ؟!.

والله وحده الموفق والهادي لما فيه الخير

.....

ثانيا : بين المستحيل عقلا والمستحيل عادة

1- المستحيل عقلا :

هو ما تناقض مع بديهيات كل عقل بشري أو ما تناقض مع كل العقول البشرية , بحيث لا يقبله إلا مجنون أو من لا عقل له . ومن أمثلة ذلك :

* أن نقول بأن الواحد أكثر من الإثنين .
* أن نقول بأن النصف أكبر من الواحد .
* أن نقول بأن 1 + 1 + 1 = 1 .
* أن أقول بأنني حي وميت في نفس الوقت .
* أن أقول بأنني واقف وجالس في نفس الوقت .
* أن نقول بأن الإبن أكبر سنا من أبيه .
* أن نقول بأن فلانة حضرتْ في حفل زواج أمها الأول !.

ومن أمثلة ذلك ما نقدمه للتلاميذ في الثانوية في مادة العلوم الفيزيائية , عندما نتحدث عن الخواص العامة للجسم المادي , والتي منها " لا يمكن لجسمين ماديين أن يحتلا نفس الحيز من الفراغ في نفس الوقت " , أي أن لكل جسم حيزا من الفراغ يشغله هو , وهو خاص به , ويستحيل عقلا على أي جسم مادي آخر أن يشغل مع الجسم الأول نفس الحيز من الفراغ في نفس الوقت .

ومن النكت المتعلقة بما يصدر عن بعض التلاميذ شفويا أو كتابيا في الامتحانات أو في غيرها مما له صلة بالمستحيلات عقلا :

تقول للتلميذ " لدينا جسم كتلته 1 كغ , نأخذ منه جزء ونجري عليه مجموعة تجارب , وبناء على معطيات معينة يُطلب من التلميذ استنتاج كتلة ذلك الجزء ". وبعد طول حل يصل التلميذ إلى أن كتلة ذلك الجزء تساوي 105 كغ مثلا (!) , أي أن كتلة الجزء أكبر من كتلة الكل , وهذا مستحيل عقلا . هذا الذي يكتبه التلميذ هنا هو من باب المستحيلات عقلا , ويشبه قولك مثلا" كتلتي الكلية هي 70 كغ وأما رأسي وحده فكتلته 100 كغ ! ".

2- المستحيل عادة :

هو ما لا يتناقض مع بديهيات أي عقل بشري , ولكن العادة جرت على خلافه . ومن أمثلة ذلك :

* سمكة تعيش خارج الماء , وتتكلم مع البشر .
* أنا أذهب إلى مكان عملي طائرا وليس على رجلي .
* الدجاجة تطير في الهواء لمسافات طويلة مثل سائر الطيور .
* السلحفاة تتحرك بسرعة أكبر من سرعة حركة الأرنب .
* القط يخاف من الفأر ويهرب منه .

ومما يندرج في نطاق المستحيلات عادة : معجزات الأنبياء وكذا كرامات الأولياء .

- خلق الله حواء من ضلع سيدنا آدم , وهذا ليس مستحيلا عقلا ولكن جرت العادة على خلاف ذلك , أي أن العادة جرت على أن الولد يأتي بعد زواج بين امرأة ورجل .
- سيدنا نوح صنع سفينة جمع فيها المؤمنين به ثم تحركت السفينة في وقت غطى الماء الدنيا كلها وأغرق جميع الكفار في ذلك الزمان , وهذا ليس مستحيلا عقلا ولكن جرت العادة على أن في الدنيا مؤمنين وكفارا وعلى أن الأرض منها المغطى بالماء ومنها اليابسة .
- ألقي سيدنا إبراهيم في النار ومع ذلك بقي حيا سالما وآمنا لم تصبه النار بأي سوء , وهذا ممكن عقلا ولكن جرت العادة على أن النار تحرق من يرمى فيها ولو لدقيقة واحدة من الزمان .
- ألقى سيدنا موسى العصا فإذا هي حية تأكل ما جاء به السحرة , وهذا ليس مستحيلا عقلا , ولكن جرت العادة على أن العصا تبقى عصا ولا تتحول إلى حية تأكل غيرها .

- كان سيدنا عيسى يحيي الموتى بإذن الله , وهذا ليس مستحيلا عقلا , ولكن جرت العادة على أن البشر لا يملك أن يحيي ولو ذبابة واحدة .
- كان جذع الشجرة يئن لفراق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم , وهذا ليس مستحيلا عقلا , ولكن جرت العادة على أن الشجر نبات لا يحس ولا يشعر ولا يفرح ولا يحزن ولا ...
- وكانت السيدة مريم تجد أمامها فاكهة الشتاء في فصل الصيف وفاكهة الصيف في فصل الشتاء , وهذا ممكن عقلا وإن كان مستحيلا عادة في زمان ليس عند الناس فيه ثلاجات ولا مبردات ولا ...

ومن أمثلة المستحيلات العادية ما نقدمه للتلاميذ في الثانوية في مادة العلوم الفيزيائية , عندما نتحدث عن الخواص العامة للجسم المادي , والتي منها مبدأ العطالة الذي ينص على أن " الجسم المادي لا يتأثر إلا إذا أثر عليه مؤثر خارجي " , أي أن الجسم المادي (الميت لا الحي) لا يمكن أن يتحرك أو ينتقل أو يرتفع أو ... من تلقاء نفسه بدون أن يؤثر عليه مؤثر خارجي هو الذي حركه أو نقله أو رفعه أو ... الله قادر على أن يجعل الجسم المادي الميت يتأثر بدون مؤثر خارجي , ولكن جرت العادة على خلاف ذلك .

ومن النكت المتعلقة بما يصدر عن بعض التلاميذ شفويا أو كتابيا في الامتحانات أو في غيرها مما له صلة بالمستحيلات عادة :

أنك تعطي للتلميذ معلومات معينة متعلقة برجل يصعد سلما ارتفاعه كذا في زمن كذا و ... ثم تسأل التلميذ في النهاية " ما هي كتلة هذا الرجل ؟ " , وفي نهاية حل التلميذ للتمرين يعطيك النتيجة النهائية , وهي أن كتلة الرجل تساوي 3500 كغ , أي 35 قنطارا (!) , وهي نتيجة مستحيلة عادة حتى ولو كانت ممكنة عقلا .

نعم , الله قادر على أن يخلق شخصا كتلته 35 قنطارا أو أكثر بكثير من ذلك , ولكن العادة جرت على أن كتلة الإنسان تساوي مئة كيلو أو بضع مئات فقط من الكيلوغرامات .

3- قدرة الله , هل تتعلق بالمستحيلات عادة أم عقلا ؟ :

" هل قدرة الله التي لا تحدها حدود متعلقة بالمستحيلات عقلا أم بالمستحيلات عادة ؟" , أو " هل الله القادر على كل شيء , هو قادر على المستحيلات عقلا أم عادة ؟ ".

والجواب عن السؤال :

وإن كان من غير اللائق أو من غير الجائز أن نقول " الله ليس قادرا على ..."، فإنني أقول وأؤكد على أن قدرة الله غير المحدودة لا تتعلق أبدا بالمستحيلات عقلا وإنما هي تتعلق بالممكنات عقلا , حتى ولو كانت مستحيلة عادة .

لا يُقبل أبدا ولا يستساغ أبدا ولا يجوز أبدا أن نسأل " هل الله قادر على أن يجعل 1 مساويا لثلاثة ؟! " , أو " هل الله قادر على أن يجعل الإبن أكبر سنا من أبيه ؟! " , أو " هل الله قادر على أن يجعل الجزء أكبر من الكل ؟! " أو ...

ا- لأننا إن أجبنا ب " الله قادر على ذلك " , يمكن أن يقال لنا عندئذ بأن الله إذن خرافة وكذب ودجل وشعوذة , لأن هذه الأشياء تدخل ضمن المستحيلات عقلا ولا يقبل بها إلا المجانين من الناس , ويصبح الله عندنا نحن المسلمين كما هو الحال عند النصارى الذين حرفوا الإنجيل وكذبوا على الله وعلى أنبيائه وقالوا بأن الله واحد وثلاثة في نفس الوقت , وهو مستحيل عقلا.
ب- وأما إن أجبنا عن السؤال ب " الله ليس قادرا على ذلك " قيل لنا " إذن الله عاجز , فلماذا تقولون لنا بأن الله على كل شيء قدير ؟! " .
والحقيقة هو أن السؤال أساسا لا يجوز طرحه ما دام متعلقا بالمستحيلات عقلا . الله قادر على كل شيء , نعم , ولكن قدرته اللامحدودة متعلقة بالممكنات عقلا حتى ولو كانت مستحيلة عادة , ويدخل في ذلك خلق الله للسماوات والأرض وكذا القدرة على الخلق والإفناء , وكذا اطلاعه على السر والعلن من شؤون المخلوقات وكذا معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء و... إلى آخر القائمة غير المنتهية .
وأما الحديث عن قدرة الله أو عدم قدرته على المستحيلات عقلا فهو لغو لا طائل من ورائه , ولا يجوز لأي مسلم أن ينجر إليه : لا يجوز له أن يسألَ كما لا يليق به أن يجيب .

4- بين المستحيل عقلا وما لا يدركه العقل :

يجب أن يكون واضحا عند كل مسلم عاقل بالغ الفرق بين ما لا يدركه عقل الواحد أو ما لا تدركه كل عقول البشر , وما يتناقض مع بديهيات هذه العقول .
كما أن في الحياة وضمن الكون ومع الإنسان توجد الكثير من الأشياء لا يدركها العقل , فكذلك في الدين توجد الكثير من الأشياء (سواء تعلقت بعالم الغيب أو الشهادة) فوق إدراك العقل البشري , وذلك بسبب عقل الإنسان القاصر والعاجز والضعيف و ... إلى جانب عظمة الله عزوجل , لكن هذا شيء وكون هذه الأشياء من نوع المستحيل عقلا ومما يتناقض مع العقل البشري هو شيء آخر .
يوجد في الدين الكثير مما لا يدركه عقل البشر ولكن لا يمكن أن نجد في قرآن أو في سنة صحيحة صريحة ولو شيئا واحدا مهما كان بسيطا يتناقض مع العقل أو هو مستحيل عقلا .
هذا أمر ما كان في يوم من الأيام , وهو اليوم غير كائن , ولن يكون أبدا في المستقبل القريب أو البعيد .إن الدين بني على العقل والتدبر والتفكر والتذكر , ومنه فلا يمكن أن يتناقض معه .
قد تجد صعوبة في أن تنظر بالعين المجردة ومباشرة إلى الشمس القوية في منتصف نهار يوم شديد الحر , بسبب ضعف عينك أنتَ , ولكن هذا ليس دليلا أبدا على أن الشمس غير موجودة . ومنه يمكن أن لا تدرك عقولنا كيف يخلق الله العباد وكيف تخرج الروح من الجسد وكيف يبعث الله العباد يوم القيامة وكيف يحاسبهم , وكيف يتنعم البعض في القبر ويعذب البعض الآخر و ... وقد نجد صعوبة في فهم ماهية الصراط والميزان والكرسي والعرش والجنة والنار و ... ولكننا لن نجد أبدا في أي شيء من ذلك ما يتناقض مع العقل , أي عقل . إذن يوجد في الدين الكثير مما لا يقدر العقل أن يتصوره أو يدركه , ولكن لا يوجد ولو شيء واحد في الدين من نوع المستحيل عقلا أو مما يتناقض مع بديهيات أي عقل بشري .

والله أعلم بالصواب , وهو وحده الموفق والهادي لما فيه الخير .

.....

ثالثا : بين النفس والهوى والشيطان والروح والقلب

1- مسائل الغيب ليست كمسائل الشهادة . مسائل الشهادة كالفيزياء والكيمياء والطب والعلوم الطبيعية والفلاحة و ... معقولة المعنى , ويجوز أن تؤخذ من مسلم أو من كافر , والأصل فيها الابتكار والابتداع , والدليل عليها التجربة الحسية الملموسة .
وأما مسائل الغيب كالقبر والجنة والنار والجن والملائكة و ... والنفس والروح والقلب والشيطان والهوى و ... وكذلك العلوم الإنسانية كالفلسفة وعلم الإجتماع والحقوق وعلم النفس وعلم التربية والاقتصاد والسياسة و ... لا يجوز أن تؤخذ إلا من مسلم مؤمن , ولا دليل لنا عليها إلا الوحي أو الكتاب والسنة فقط .
2- ومما سبق ولأن الروح من عالم الغيب , ومنه لا دليل لنا عليها وعلى ماهيتها وعلى علاقتها بالبدن أو الجسد وعلى علاقتها بالنفس وعلى ... إلا ما ورد في الكتاب أو السنة فقط .
وكل ما يقال عن الروح مما ليس عليه دليل من الكتاب أو السنة هو مجرد كلام يمكنُ أن نأخذه ويمكن أن لا نأخذه بدون أي حرج من الناحية الشرعية , بل إن عدم أخذه وعدم تصديقه أولى.قال تعالى" يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي , وما أوتيتم من العلم إلا قليلا".
3- مما ورد في الكتاب والسنة أن هناك روحا طيبة وخيرة وروحا خبيثة وشريرة , ونحن نسأل الله أن تكون أرواحنا طيبة وخيرة . ولا يهمنا بعد ذلك أن تكون الروح هي النفس أو أن الروح شيء والنفس شيء آخر , وكذلك لا تهمنا علاقة كل منهما بالآخر , ولا تهمنا علاقة كل منهما بالبدن أو الجسد . يكفينا نحن أن نعلم – يقينا - بأن المؤمن الطائع صاحبُ روح طيبة خيرة , وهو من أهل الجنة , نسال الله أن نكون منهم . وفي المقابل نحن نعلم كذلك – يقينا - بأن المؤمن العاصي صاحب روح خبيثة وشريرة , وهو من أهل النار نعوذ بالله منها ومما يقربنا منها .
4- تحدث العلماء كثيرا عن النفس وماهيتها واختلفوا كثيرا . والقاعدة الذهبية تقول بأن كل ما اختلفوا فيه مما ليس لهم عليه دليل (من كتاب أو سنة) نحن أحرار : أخذنا من فلان أو من علان أو لم نأخذ من أي واحد منهم شيئا . كل ذلك جائز لنا . لماذا ؟ لأن المسألة متعلقة بعالم الغيب الذي لا دليل عليه إلا الوحي . وعندما لا يكون هناك وحي , فنحن أحرار (في الأخذ أو عدم الأخذ , وفي الأخذ عن فلان أو عن علان) بدون أن نخاف من أي حرج شرعي بإذن الله .
5- والله لم يُفصل في أشياء معينة من عالم الغيب , لأن التفصيل فيها لا ينبني عليه عمل . الشجرة التي نهى الله آدم وحواء عن الأكل منها : ما نوعها ؟ لا يهم , لأنه لا فائدة من معرفة

ذلك . كم كان عدد أفراد أهل الكهف ؟ لا ندري , لأن العدد لا يهم ولا علاقة له بطاعة أو معصية . أب المرأة التي تزوجها سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام : من هو بالضبط ؟ الأمر لا يهم , وليست له بإذن الله أية فائدة عملية . وهكذا ... لذلك يمكن أن نتساءل أين هو موضع النفس من جسد الإنسان ؟ هل النفس متعلقة بعضو معين أم لا ؟ هل هي الروح أم أنها أمر مختلف ؟ أيهما أكثر أهمية وخطورة ؟ ...الخ ... كل هذه الأسئلة وغيرها كثير , الأجوبة عليها ليست قطعية , وهي محل خلاف كان ومازال وسيبقى إلى يوم القيامة . والله لم يفصل في هذا الأمر , لأنه لا فائدة عملية من التفصيل .

6- المؤكد أن النفس كالروح أمرٌ معنوي وليست أمرا ماديا . هذه مسألة لا يختلف عليها إثنان بإذن الله تعالى .

7- يكفينا بالنسبة للنفس أن نعلم بأن هناك نفسا أمارة بالسوء ونفسا لوامة ونفسا مطمئنة راضية . وحتى إن لم نعلم ولم نعرف التفاصيل المتعلقة بكل منها , إلا أننا متفقون على أن الأحسن والأفضل هي النفس الراضية المطمئنة . ومنه فنحن نسأل الله باستمرار أن يجعلنا من أصحاب الأنفس الراضية المطمئنة , وأن نكون ممن يُقال لكل واحد منهم يوم القيامة "يا أيتها النفس المطمئنة . إرجعي إلى ربك راضية مرضية . فادخلي في عبادي وادخلي جنتي " .

8- القلب ما هو ؟ هل هو النفس أو الروح أو أنه شيء آخر . ما علاقة القلب بسائر الجسد ؟. وما علاقة القلب بالنفس والروح ؟. المسألة خاض فيها العلماء ومازالوا وسيبقون إلى يوم القيامة . لماذا لم يجب القرآن والسنة عن ذلك ؟. ببساطة لأن المسألة ليست لها أية فائدة عملية . والمؤكد هو أن القلب الذي هو " مُضغة " أَلا وإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وإِذَا فَسَدَت فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهيَ القَلْبُ) رواه البخاري ومسلم " , هو أمر معنوي وليس أمرا ماديا . هذا أمر مؤكد لا يختلف عليه إثنان . ونحن نسأل الله باستمرار أن يكون قلب كل واحد منا طيبا مباركا وصالحا , وأن نكون ممن قال الله تعالى فيهم " يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم " .

9- ما هو العدو الأخطر : هل هو الهوى أم النفس أم الشيطان ؟. المسألة فيها من الخلاف ما فيها ولا توجد أية فائدة عملية في معرفة الأخطر . ما علاقة الثلاثة ببعضهم البعض ؟. المسألة كذلك فيها من الخلاف ما فيها ولا توجد أية فائدة عملية في معرفة هذه العلاقة , أو على الأقل لا توجد فائدة كبيرة في هذه المعرفة , لذلك لم يُفصل في أمرها اللهُ وكذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

10- الهوى منه ما هو حسنٌ , وهو ما وافق الكتابَ والسنة كما قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم" لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئتُ به " (هذا الحديث صححته جماعة وضعفته جماعة أخرى , لكن معناه صحيحٌ عند الكل) . ومعنى الحديث أن المؤمنَ الكامل الإيمان يجب أن يكون هواه تبعا لما يريد اللهُ ورسوله , وأما من كان هواه تبعا لما يريدُ الشيطانُ لا الرحمانُ فإن إيمانَـه ناقصٌ . ومنه نحنُ نسألُ اللهَ أن يجعل هوانا دوما تبعا لما جاء في الكتاب والسنة .

ومن الهوى ما هو سيءٌ , وهو كلُّ ما عدا ذلك . والأصلُ في الهوى إذا أُطلقَ أنه سيءٌ وخبيثٌ وفاسدٌ وأنه اتباعٌ للشيطان وللنفس الأمارة بالسوء . ونحن نعوذ بالله من أن يكون هوانا تبعا لما يحبُّ الشيطانُ , كما نسأل الله أن يحيينا سادة لأهوائنا لا عبيدا لها .

11- الشيطان بصفة عامة هو الجنُّ الكافر , وهو لا يأمرُ الإنسانَ إلا بمعصية الله , وهذه هي وظيفته الأساسية , وهذا هو دورُه الرئيسي . ونحن باستمرار نسأل الله أن يُغلبنا على الشيطان ما حيينا .

12- من هم أعداء الإنسان المؤمن في الحياة الدنيا ؟. لا خلاف في أنها الهوى السيء والنفس الأمارة بالسوء والشيطان لعنه الله (مجتمعة) , بغض النظر عن العلاقة بينها وبين بعضها البعض , وبغض النظر عن أيـها الأخطر ؟ .

13- هناك فرق بين ما تعلق بعلم الغيب وبعلم الشهادة . أما ما تعلق بعلم الشهادة فالمطلوب البحث فيه اليوم وغدا وبعد غد , والمطلوب التقصي والمبالغة في البحث , والمطلوب الابتداع والابتكار , لأنه بسهولة يمكننا أن نصل في علم الشهادة إلى يقينيات , ولأن ما نصل إليه من قوانين وقواعد وأصول و ... نستفيد منه الكثير دينا ودنيا .

وأما ما تعلق بعلم الغيب فالمطلوب فيه - في نظري - أن نكتفي بما ورد في الكتاب والسنة (أنظر إلى مفاسد علم الكلام الذي خاض في كثير من مسائل العقيدة التي لم يتحدث عنها الله ولا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة والتي ليس فيها ولا لها أية فائدة عملية ...) ما استطعنا , لأننا لن نصل من خلال هذه الدراسات إلى حقائق أبدا , ولأن المسائل الخلافية والنظريات الظنية التي يمكن أن نصل إليها لن نستفيد منها لا من قريب ولا من بعيد .

14- أنا قرأت أيام زمان كتبا كثيرة كلها متعلقة بالنفس والقلب والروح والعقل والهوى والشيطان , وذلك خلال مدة طويلة نسبيا , وفي النهاية تحسرتُ كثيرا (وقلتُ لنفسي : واحسرتاه على العمر الذي ولى في قراءة ودراسة هذه المسائل) للوقت الذي ضيعتُه في قراءة مثل هذه المسائل التي إن صلُحت للعلماء فإنني أرى أنها لا تصلحُ لنا نحن البسطاء من المسلمين . هي لا تصلحُ لأننا نجد أنفسنا أمام كم هائل من الأقوال , ونجد أن كل واحد من العلماء يدعي بأنه على صواب , والصواب الله وحده يعلمه , ثم نجد أننا نقرأ مواضيع لا نستفيد منها عمليا من أجل زيادة طاعتنا لله أومن أجل تقوية إيماننا بالله , أومن أجل زيادة قربنا من الله أو من أجل رفع درجتنا عند الله أو من أجل رفع معنوياتنا أو ...

15- فرق كبير بين دراسة علم النفس من وجهة نظر إسلامية ,علم النفس الذي هو علم مفيدٌ ونافع وممتع وجيد ومهم لأغلبية الناس بمن فيهم الآباء والأمهات والمعلمين والأساتذة والمربين والأطباء والرقاة و ... وبين إضاعة الوقت في القراءة عن النفس والروح والعقل والقلب والهوى والشيطان والعلاقة بينها وبين بعضها البعض وعن أيها أخطر وعن محل كل منها وعن ...

16- عمر الواحد منا محدود , والوقتُ هو الحياةُ , وكلُّ واحد منا سيسأل عن عمره فيمَ أفناه ؟ وعن علمه ماذا عمل به ؟. ومنه فإنني عندما أرى وأجد أمامي أحد خيارين :

<u>الأول</u> : أن أدرس العقيدة والآداب والأخلاق والسيرة والتفسير والفقه و...والسياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية والتعليم و...وأن أهتم بدراسة ما تعلق بمجال تخصصي (أنا في العلوم

الفيزيائية وأنت في ...وهو في ...وهي في ... و ...) وأن أدرس ... أن أدرس كلَّ ذلك أصولا وفروعا حتى أعرفَ المسائلَ الأصولية التي لا خلاف فيها والتي يجب علي أن أتعصبَ لها وأن أتشددَ فيها وأن لا أتسامح حيالها وأن ... وحتى أعرفَ المسائلَ الفرعية الخلافية الظنية التي لا يجوز التعصبُ أو التشدد أو التزمتُ فيها بل المطلوبُ فيها سعةُ الصدر مع المخالفِ وحسنُ الظنِّ و...

الثاني : أن أدرسَ التفاصيلَ الفرعية في العقيدة والتي هي محل خلاف بين علماءِ أهل السنة والجماعة , أو أن أبحثَ عن الأدلة العلمية على مسائل غيبية مثل القبر والميزان والصراط والحساب يوم القيامة والجنة والنار و... أو أن أبحثَ عن خلافات في العقيدة بيننا وبين فرق اعتقادية ضالة ومنحرفة لم يبق لها وجودٌ لأنها اندثرت من زمان , أو أن أهتمَّ بدراسة العلاقة بين النفس والروح والعقل والقلب والهوى والشيطان و...

إذا وجدتُ نفسي بين هذين الخيارين (ولا ننسى أن عمرَنا محدودٌ وان الوقتَ هو الحياةُ) , فإنني لن أتردد ولو للحظة من الزمان , وسأختار قضاءَ وقتي وإفناءَ عمري مع الدراسات الأولى لا الثانية .

نعم إن قدر شخصٌ على دراسة الكل فلا بأس عليه ولا حرج عليه بإذن الله , ولكن من النادر أن يجدَ الواحدُ منا الوقتَ الكافي لكل هذا , ويمكنُ أن أقولَ بأن هذا مستحيلٌ إلا أن يكونَ عمرُ الشخصِ مثلَ عمرِ سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام .

17- عندنا مثلا طلبةٌ في الجامعة الإسلامية هنا في الجزائر أو في غيرها إذا اهتموا بالدراسات والبحوث والنظريات المتعلقة بالنفس والروح وغيرهما , فإنني أجدُ لهم أكثرَ من عذر . وأما بالنسبة لغيرِ المتخصصين في الدراسات الإسلامية مثلي ومثلك أيها القارئ الكريم , فإنني لا أميلُ أبدا إلى الاهتمامِ بتلك الدراسات وأنا أعتبر ذلك مضيعة للوقت وللجهد وربما للمال كذلك .

18- أنا أعتقد أن كثرةَ الاهتمام – وأؤكد على كلمة (كثرة) - بالدراسات المتعلقة بمسائل غيبية , (فضلا عن أنها غالبا خلافية ولا نعرفُ الصوابَ فيها , وفضلا عن أنه ليست لها فائدة عملية) تُقَسي القلبَ مع الوقتِ , خاصة إن لم يُصاحبها اهتمامٌ كافي بالتربية الروحية مثل النوافل من الصلاة والصيام والذكر والدعاء وقراءة القرآن وزيارة المقبرة ومحاسبة النفس ومثل ... وأنا أعرف شبابا عندنا في بعض المناطق في الجزائر , هم أبطالٌ في نقل أقوال العلماء في النفس والروح والقلب والعقل و ... مما ليست لهُ أية فائدة عملية , ثم تجدهم جاهلين لأبسط مسائل الفقه في الصلاة والصيام , وتجدهم ضعافا جدا في مجال تخصصهم الدراسي , وتجدهم بعيدين كلَّ البعد عن التعامل مع الناس بما يمليه عليهم الأدبُ والخلق الإسلامي , وتجدهم قساة في التعامل مع أقرب الناس إليهم من إخوة وأخوات وأب وأم , وتجدهم يعانون (بشهادة أهاليهم) في الكثير من الأحيان من القلق والوسواس والخوف والخلعة و ... وكلُّ هذا نتجَ في نظري عن اهتمامهم الزائد بدراسة علم ظني - ليست فيه فائدة عملية ويُقسي القلب - على حساب علوم أخرى تُعرِّفُ بالدين وتُقرِّب من الله وتزيدُ من الأجر وتُسعد الإنسانَ وتُرقِّق القلبَ وترفعُ المعنوياتِ وتُقوي الإيمانَ و...

19- هذا النقاش يُذكرني بحوار تم في يوم من الأيام بين أخوين كريمين هنا في الجزائر. أحدُهما يؤكد على أن عدوه الأساسي هو النفس الأمارة بالسوء , وكان يُقدمُ على صحة دعواه أدلة من أقوال بعض العلماء , وأما الآخر فكان يؤكد على أن عدوه الأكبر هو الشيطان وكان هو الآخر يستدل على صحة ما يقول بأقوال علماء آخرين . واحتد النقاشُ بينهما فقلتُ لهما مهدئا " على رسلكما لن يستفيد الدينُ ولن يستفيد أيُّ مسلم من حدة النقاش بينكما , ولن يُقدم أحدكما دليلا قطعيا على صحة ما يقول , ولن يستطيعَ أيٌّ منكما أن يُقدم لنا ولو فائدة عملية بسيطة يمكن أن نأخذها من هذا الحوار. على رسلكما ! إن المطلوبَ من كلِّ واحد منا حتى يحبَّـه اللهُ ويرضى عنه أن يتخذَ الشيطانَ عدوا وأن يتغلبَ على هواه وأن يرفعَ نفسه إلى درجة الرضى والاطمئنان أو على الأقل إلى درجة النفس اللوامة , ثم لا علينا بعد ذلك من بقية النقاش والحوار. قولا لي بالله عليكما ما الذي يستفيدُ منه أيُّ واحد منا إن عرفنا أين موضع النفس من البدن أو لم نعرف ذلك ؟ ما علاقة النفس بالروح ؟ أيهما أهم ؟ ما علاقة النفس بالهوى والشيطان ؟ ما علاقة النفس بالعقل ؟ ما علاقة النفس بالقلب ؟ إلى آخر هذه الأسئلة . قولا لي بالله عليكما أية فائدة سيجنيها المؤمنُ من خلال هذه الدراسات أو البحوث أو من وراء أي نقاش في هذه المسائل أو من هذه الخصومة بينكما ؟ . هداني الله وإياكما لكل خير آمين ".

نسأل الله أن يُعلمنا ما ينفعنا وأن يَنفعنا بما يُعلمنا وأن يزيدنا علما .

اللهم آمين وصل اللهم وسلم على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه .